عـــودةُ مـــغـــتـــربـة

عبد الرزاق عبد الواحد

ـ ها أنا عائده
أين منّي المفرّ ؟ !

حين أغلقتُ سمّاعَة التلفون
تذكرتُ وجهك قبل السَّفَرْ
وتذكرتُ كيف بكيتُ لكلّ
محرّكِ طائرةٍ دار،
كلّ قطارٍ صفَرْ
وأنا أتأمّلُ دمعَك ينهلُّ مثل المطرْ !

ها هي الآن عادت
قلتُ كلُّ العراقِ أتى معها
من جميع المَهاجرْ
حاملاً دمعَ غُربته، ومحبَّته
للبيوت التي ذُبحَتْ
واستحتْ أن تُسافرْ !

وسرحتُ بعيداً
لستُ أدري لماذا بدا الصوتُ لي
ليسَ صوتَك..

حين وقفتِ على الباب
فاجأتني
كنتُ ما زلتُ أجمعُ ما بعثرتْهُ
السّنين
وما في دمي من حنين
لألاقيك..
ياه..!
بعد عشر سنين
ترجعين كأنّك لم تكبري سنةً
واحده !
وركضتُ إليكِ كطفلٍ..
مدَدْتِ إليَّ يداً بارده
تجاهلتُها واحتضنتُك..
كالدُّميةِ الجامده.
دار خدُّكِ نحو فمي
سقطتْ قبلتي في مساحيقِ وجهكِ
بينا يداكِ تصدّانِ ما بيننا
فتراخَتْ يدي،
وتراجعتُ
لَحظتَها،
كنتُ ألمحُ كيف نظرتِ لبدلتكِ
المُترفه
لا تكون العواطفُ قد أفسدَتْ
من أناقتها المرهفه !

وجلستِ..
جلستُ قبالَك
ثرثرتِ..
كانت فتاةٌ عراقيَّةٌ شئتُها أن تراكِ
قلتُ لها
ستَرين العراق الحبيب
العراق الغريب
يعودُ إلى بيتِه..
نصفَ غافٍ
سمعتُ حديثَكِ عن حَرِّ بغداد..
عن كثرة الأتربه

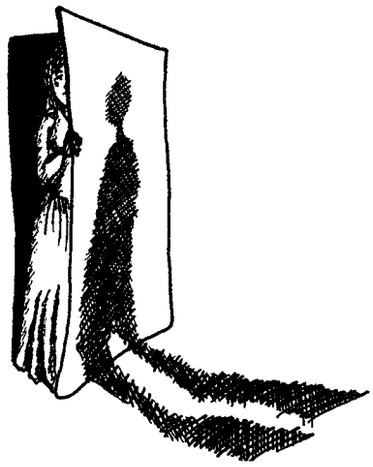

عن الفقر، والجوع..
عن نظراتِ التَّسوُّلِ،
والأوجهِ المتعبَه
وهي تركضُ خلفكِ في ذلّةٍ مذنبه !

وثرثرتِ.. ثرثرتِ..
عن كلِّ ما نابَنا من بلاءْ
عن الموت، والخوف، والأبرياءْ
ونظَّرتِ للحرب،
نظَّرتِ للغرب
ثمَّ.. بشيءٍ من الكبرياءْ
أعلنتِ أنَّكِ والوفدَ جئتم ببعض
الدَّواءْ !
كنتُ في مقعدي نصفَ غافٍ
وقال صديقٌ أتى
إنَّ عطركِ يملأ كلَّ الممرّات.
فتاةٌ عراقيَّةٌ ضحكتْ
أدركتْ أنَّ عطركِ
لحظة كنتِ على الباب مات..!

بغداد